علي احمد سعيد

دليلة

ملحمة قوميّة

الطبعة الاولى

1950

٨١١.٩٥٦١
أدو

٩٥٦,٩٤٢
أدو

مكتبة الجامعة الاردنية
الرقم ١١٥٤١٦
رقم التصنيف .....
التاريخ : ١ - تشرين ثاني ١٩٨٤

الرقابة البيلوغرافية

الاهداء

الى بنات امتي العاملات

لمجد سوريا وعظمتها ..

1 مارس 1950

دليلة

كان السوريون ، ذوي حضارة عظيمة في الجزء الجنوبي من سوريا ، فيما قبل الميلاد باكثر من الف عام . وكانوا يتمتعون بنفوذ واسع ، ويعاملون الغرباء عن قوميتهم ، اللاجئين الى فلسطين كاليهود ، معاملة حسنة . ولكن اليهود ، لم يرضوا عن السوريين ، ولا عن نفوذهم الكبير ، فأخذوا يكيدون لهم المكائد ، ولكن الفشل كان رفيقهم دائماً. فلجأوا الى « يهوه » الههم ، وطلبوا منه ان ينقذهم من السوريين . فاستجاب « يهوه » وأرسل لهم فتى، جعل قوته سحرية ، وعظيمة ذلك الفتى هو « شمشون » وقد نشأ نشأة الزنادقة ، وصار قاضياً يهودياً . وأخذ ينكل بالسوريين ، فيقتل نساءهم وأطفالهم ومواشيهم وينهب بيوتهم ، ويحرق زروعهم ، وذلك كله برضى وارادة من « يهوه » الهه ، وضاق السوريون به ذرعاً، فتكاثروا عليه، وطوقوه

ولكنه نجا بعد ان قتل منهم كثيراً ، « بفك حمار » القضاء عن الارض ، وقبضوا عليه مرة وسجنوه ، في غزه ، فكسر الابواب وولى هارباً ، مما أعجز السوريين لعدم معرفتهم اين تكمن قوته ؟ ، فذهبوا « لبعل » الاله السوري ، يستهدونه ، فأوحى لهم ان يذهبوا الى « دليلة » ، بنت بلادهم ، وكان « شمشون » يحبها ، ويتردد لبيتها ، فذهبوا الى « دليلة » وذكروا لها عظمة بلادها ، وكيف ان اليهود الدخلاء ، يحاولون تحطيم كيانها الشامخ وطلبوا منها ان تطلب من « شمشون » ان يقول لها عن سر قوته العظيمة ، وعن مكمنها فرضخت لبني قومها ، واستطاعت ان تعرف قوته ، وكانت في شعره ، رغم محاولاته العديدة بعدم القول لها .

وحينئذ أنامته ، وأخذت سكينها ، واجتزت جدائل شعره ، ونادت قومها السوريين فأخذوه وكبلوه ، وفقأوا عينيه . وتركوه يطحن في السجن حتى مات .

من بلادي ، من أفقها المسحور
نبعت دفقة الهدى والنور
ومشت تمهر الحياة ، بالوان خلود
تسمو عن التصوير ..
في عروق الزمان منبع خير
عبّ ألوان كبره من علاها
وعلى جبهة الأساطير غار
لملمته أكفه من رباها .. !
عند «صيدا» تجف أودية الظن
ويحنو جناحه عند « صور »
فهما شعلة على رفة الدنيا سناها ،
وفي جفون العصور .. !

في «فلسطين» من مواكبها البيضاء
دنيا مزهوة الألوان

ترحم الحطب كبرياء وتمشي
لمناها ، على جناح الزمان .. !

وبنوها منتشرون على الافق
حياة ، وثورة من ضياء ..

يتزامون للجهاد، على همس المعالي
ووثبة الكبرياء .. !

خلقوا للقتال ، فانسربوا زحفاً
بعيد المدى ، بعيد الحدود ..

كلهم وثبة لتهديم طغيان
وإطلالة لكسر قيود .. !

أورقت باسمهم سهول « فلسطين »
إباءً وعزة وفخارا

فانتشت زحمة الأكف تناجيهم
وتهديهم الشذى والغارا ..

والمقادير في معارجها الدكناء
مكسورة المدى والجناح ..

لطمتها يد الصراع ، فماتت
هلعاً ، خلف ركبه المجتاح .. !

كم أراقوا على اليهود شذى العطف
وكم أسبلوا عليهم جناحا ..

أبعدوا عنهم الاذاة ، وكانوا
في فم الضر موسماً مستباحا .. !

و«فلسطين» موجة من شعاع الخير
ذابت على دروب الفضاء ..
تزوي من بريقه شفة الارض
وتزهو به جفون السماء .. !

ولقد أنكروا حنان « فلسطين »
وداسوا عرفانها والجميلا ..

واذا الشر كان للمرء دربا
فمن الصعب ان يكون نبيلا ..!

وتنادوا: «الى «يهوذا» الى هيكل
أمـــراره ، الى علمائه ..

نشرب الحق من هداه ، ونبني
غدنا البكر من شموخ إبائه .. !

اي .. « يهوذا » فينا التفات
الى الشر وفينا تطلع للثار ..

فكرة الخير ظلمة ، في مداها
صور من تذلل وانكسار .. !

آن تجوالنا على مفرق الشمس
وآن انطلاقنا للجهـــاد ..

احسنوا ... فلنسىء ، فقي ومأة
الاحسان ، دنيا هزيلة الآباد .. !

فاهدنا ، واحم مجدنا ، يا «يهوذا» !
« ففلسطين » مجدها لا يحد ..

أفصعب اعطاؤنا بطلا يحطم
جدران مجدها ، ويردُ .. ؟ ! »

وتراموا على الدعاء.. وأبناء بلادي
فجر ، بعيد الضيـــاء ..
شعلة في يد الخلود ، وغـــار
باسم في مواكب العلياء .. !
وكأن الحياة ، قالت لهم كونوا:
« صباح الوجوه عند المصائب ..
بين احضانكم ، غريب من الناس ،
وأعجوبة تبذ العجائب .. !
ما رأته الجفون ، الا اكفهرت
في مداها رهيبة الاحلام ..
هو « شمشون » بدعة الخلق والتاريخ
« شمشون » بدعة الايام ..!

خلقته الايام ، اقوى من البأس
واقوى من زنده المفتول ..
هكذا شـــاءه ومرّ بنجواه
عليه ، اله اسرائيـــل .. ! »
وأصاخوا الى الحياة ، وفيهم
ثورة الشوق للقتال الحبيب ...
وحياة العظام ، ألصق بالعنف المدمى ،
وبالصـــراع الرهيب .. !
من « لشمشون ؟ » يقذف الرعب وهجاً
من جحيم ، وحمأة من سعير ...
في تمشيه ، فتكة الاسد الضاري
وفي صوته طيوف الزئير .. !

كم ترامى على امتصاص الخطيئات
ورشف الرذائل الحمراء ..

ذاك « وادي سريق » تملأ دنياه
غوايات نفسه السوداء .. !

حرق الزرع ، عنوة ووراء الزرع
افواج شرّدٍ وجياع ...

كلهم يلمح الحريق ، باجفان
سواهٍ وخاطرٍ ملتاع .. !

ومشى للبيوت ، ينهب ما تلقاه
كفاه ، من حليٍّ وخراف

ويتيمت الاطفال ، والامهات الصفر ،
اشلاء خنجر رعّاف .. !

وإله « اليهود » ، يضحك والاصداء
ـ اصداء صوته ـ تتعالى ... :

« ... لتبارك يابني ، فأعمالك السمحاء ،
تزهو عدالةً وجلالا ... ! »

كيف يبيضّ لليهودي وجه ؟
والخطايا تكسوه عرقا فعرقا ..

في شفاه التاريخ ، صوت ينادي :
« صار بطلا ، ما كان عدلا وحقا .. ! »

من « لشمشون ؟ » في تلفت « شمشون »
ظلال العواصف الهوجاء ...

ترجف الدرب من خطاه ، فتمتد
سرايا من أنفس ودماء .. !

حاصروه ، فانساق يزأر كالليث ،
ويُربدّ هازئا بالحصـــار ...
وحواليه للدماء ينابيـــع ،
وفي راحتيه « فك حمار .. ! »

رموه في سجن « غزة » فاحتز
جناح السراب من مقلتيه ..
ومضى هاربا ، و « غزة » ترنوه ،
وأبوابها دمٌ في يديه .. !

... ايه يا « بعل » « ياالله السموات ،
ويا هادي النفوس الحيارى ..
هب لنا من ندى جودك ، ما يبعد
عنا ، اعـــداءنا الاشرارا .. !

هتكوا حرمة الفضيلة ، وانسابوا
الى هيكل الاخـــاء ذئابا ..
ورموا جانح الطهارة بالغدر
وساموه قسوةً وعـــذابا ..

و « يهوذا » يسرّح الطرف جذلان
ويضفي على مناهم جناحه ..
صان من رفة الأذاة حماهم
وحمانا لكل ضرٍ أباحه .. !

شاء خذلاننـــا ، فأقبل يرمي
بنبال اعتسافه كبريائـــا ..
ويغذي شعوره النهم الازرق
من حمرة العلى في دمانـــا .. !

من « يهوذا » من « اليهود ؟ »
ألوح للخطايا؟ أم ريشة للمآثم ..؟
يوشك الكفر ، ان يمر تعاويذ
على هيكل التقى وتمائم .. !
وأصاخوا «لبعل» .. يبعث فيهم
نشوة المطمئن في المحراب ..
«خفقوا يابني عنكم «فأعمال «يهوذا»
مجنونة الآراب . . !
وقتال الاله ، للناس ، لا ينبى
عن قوة ولا عن فضيله ..
ان خبت شعلة التوثب فيكم
فستلقون نورها في « دليله » ! »

زهرة من بلادهم، طالما رف عليها
ندى الصباح الطهور ..
في ثنايا أوراقها نفحة الكبر
وفي همسها النفحات النور ..
هي نجوى «شمشون» ماهمس الليل
وألقى على الفضاء ظلاله ..
سربت في جفونه حلماً كالطل
واساقطت عليه غلاله .. !
وأتوها .. وفي جوانحهم ، يجمر
ثأر ، وتستفيق جراح ..
عل وجه السواد ، يغمض عينيه
ويحبو على الفضاء الصباح ..

ورأوها محاولـــة الشعر تغزو
كبرياء الشموخ في تاهديها ..
ويريق الجمـال ، ألوانه الخضر
طيوفا تشع من مقلتيهـــا .. !
« أنت يافتنة الربى في « فلسطين »
ويادوعة الشطوط البواسم ..
ستكونين وردة في جبين الشمس ،
وضاءة الشذى والبراعم .. !
موطن المكرمات ، موطنك الخالد ،
أمسى وقفا على « شمشون .. ! »
كل ألوان خيره أعطيـات
وهبات لشعبه الملعون .. !

ان « شمشون » كتلة من خطايا
دنست موطن الهدى والجمال ..
في عروق السهول ، يجأر مسلول
مناها وفي ضلوع الجبال .. !
يبسم الدهر للغد البكر ، للسيف ،
يروّي التراب من « شمشون .. »
وشفاه التاريخ تسأل عن جرعة
مجد ، فكونيها وكوني .. !
هـــو ذا شعبك الأبي يناديك
على زحمة الأذى فأجيبي ..
قد تدك العروش همسة حب
وتذل الابطال رفة طيب .. !

لوني ، لوني ، « لشمشون » عهداً
خضل الهمس والشذى والزهور ..

واقذفيه فراشة تنهب الدرب
لتحظى بمصة من عصير .. !

وغـــداً عندما يرف سليه
عن أقاصيص زهوه وافتخاره ..

علّه علّه ، يبـــوح بسر
كان كتمانه سبيل انتصاره .. !»

وأصاخت «دليلة» لنداء الشعب ،
والكبر في هواها يميـــد

وأفاقت فيها ، مناقب «ديدون»
وفي جفنها صباح يرود ..

وتراءت لها « أثاة » ترش النور
في رعشة الجفون الحوالم ..

ان من يمهر الثرى بدم الطاغي
لتحيا بلاده غير آثم .. !

وتهاوى فؤادها بين نارين
يحيطان أفقها باللهيب ..

اوفاء لشعبها .. وعلاه .. ؟
ام بقاء على عهود الحبيب .. ؟ !

ما عليها ؟ تخون حبا وتأبى
ان ترى شعبها يذل ويشقى ..

واذا لم يكن من الحب خير
فمن الشر ان يدوم ويبقى .. !

وتراءت بلادها خلف اجفان
رؤاها جبارة الابجـــاد ..

بورك الحب للبلاد ، سبيلا
لصراع ، ووماة لجهاد .. !

وأتاها « شمشون » والشوق
يحدوه لاكناف حبه المأمول ..

فرمته الى السراب ، وفي عينيه
آفـــاق عاثر مخـــذول ..

وهوى مجدداً ، وفي يدها السر ،
وأفراحها تروح وتـــغدو ..

كان سراً مع الظلام ؛ فألقته
الى الصبح ، قوة لاتردُّ .. !

وغفا والفتون يملأ جفنيـــه
ظلالا نديـــة الاوراق ..

في تعاريجهـــا تلفت صبٍ
وتسابيح هائم مشتـــاق .. !

وحنت فوقه وسكينها الزرقاء ،
حنانـــة لتمزيق سره ..

وانتهت كبرياء « شمشون » لما
لعب الحد في جدائل شعره .. !

ثم تلفّت ، تجد بلادي يا «شمشون»
بسّامة الذرى والوهاد ..

كلما افتر في « فلسطين » لحن
رددته الامواج في «ارواد...!»

ووعته « طوروس » ملحمة المجد
و « سيناء » كعبة الانبياء ..

وسرى في عروق « بغداد » فيضا
من حياة ونشوة من إباء .. !

واطلت « دليلة » انرى قلب
« فلسطين » ابيض الحلم باسم ..

ونداءاتها الحرار ، تريق النور ،
في أعين الشباب السواهم ..:

« يا بني موطني هلموا ! « فشمشون
اليهودي ، حفنة من ركام ..

اسلمته يد الصباح ، لاهواء سواد ،
وتتمات ظلام .. !

وتلوى « شمشون » فانهزمت دنياه
واصفر في الجفون مداه ..

يهزم الفرد في السباق ، ويبقى
الشعب كالدهر لايجف سناه .. !

كبتلوه ، والكبر يفتح في دنياه
دربا من الشقاء المرير ..

واكف الاباء تترك عينيه
سرابا يغيض في ديجور .. !

تركوه ، في محبسين : عمى يقسو
وقيد ، تؤرق انياب عمره ...

رب ساع للشر ظلما وبغيا
اطعمته من شره ، يد شره .. !

اين « شمشون » اين ؟ لاساحة
الحرب تراه ، ولاجفون القتال ..

كان بالامس ، يزحم الواقع الرحب ،
فأمسى ذبالة من خيال .. !

ما وعاه التاريخ الا خيوطا
من ضلال مسمومة الاثواب ..

فطواه ، والوهم يملأ ماضيه
ويكسوه حلة من سراب .. !

والعظيم العظيم ، من مهر التاريخ
بالطيبات من اعماله ..

لا الذي عاش في الضلال ، وخلى
لعنات الاجيال ، خلف ضلاله .. !

قل لمن يرشق النساء ، بنظرات
جمود وغمغمات ذهول ...

في يد المرأة انطلاق المروءات
وفيها تكسر المستحيل .. !

ما وراء الظلام ، غير خطيئات
غواف وغير دنيا خبيثه ..

ابداً تذهب الحياة ، وتبقى همسة
النور في بريق الانوثه .. !

من بلادي ، « دليلة » وغداً تشرق
منها للكون الف « دليله .. ! »

همنا ثورة ، تعيد الى الدنيا
تراث العلى وروح البطوله .. !

اللاذقية في 1 مارس 1950